مقياس : حرف وصناعات في العالم القديم

سنة الثالثة ليسانس

أستاذ المادة : حكيم حميدة

النسيج / الحياكة LE TISSAGE

النسيج أو الحياكة هو مجموع العمليات المتمثلة في حبك أو تشبيك بصفة عادلة ومستمرة (entrelacement régulier) لصفين من الخيوط عموديا و شاقوليا لإنتاج القماش أو النسيج باستعمال **النول : métier à tisser**

- حرفة عرفت منذ أواخر فترة ما قبل التاريخ ، بحيث أصبح الإنسان لا يكتفي بجلود الحيوانات بشكلها الطبيعي (منذ 500000 سنة بأوروبا) بل أصبح يهيأ ها كلباس لحماية جسمه بعدما استعمل الأوراق النباتية بحيث مع اكتشاف الزراعة، أكتشف بعض القشور والخيوط النباتية التي يتم ضفرها وتقاطعها (tressage) كما استعمل أصواف بعض الحيوانات ثم الحرير الذي كان منشأه الهند ، والشواهد المادية القليلة المتوفرة متواجدة خاصة في قبورا لمناطق الصحراوية الجافة وببلاد ما بين الرافدين من خلال بعض الكتابات التي تتحدث عن النسيج والمهنة
- تعود أقدم مظاهر النسيج إلي العصر الحجري الأعلى (paléolithique supérieur)=43000-11800 وعرف أيضا في الحضارات الصينية وحضارات المشرق الأقصى قبل وصولها إلي أوروبا
- تطورت تقنيه النسيج بشكل سريع بعد ما كانت مقتصرة في البداية علي النسيج في المنازل فقط، ثم تطورت إلي ورشات ومصانع متخصصة خاصة باستعمال النول العمودي والأفقي وهذا الأخير هو الأكثر انتشارا في الحضارات القديمة وحتى حاليا.لقد وجد بمصر الفرعونية تصميما مصغرا لنول يعود تاريخه إلي الأسرة 12 (1994 – 1781 ق- م)، وكان أيضا معروف ببلاد ما بين الرافدين خلال الألفية الثانية ق- م ثم انتقل إلي اليونان بحيث يذكره الكاتب والمؤرخ الشهير Xénophon (القرن 4 و5 ق – م) ، كما تعرف عليه الصينيون في صناعة الأقمشة الحريرية وقاموا بتصديره إلي بلدان العالم القديم منذ بداية الألف الأول ق- م
- في أوروبا ، نلاحظ استعمال النول العمودي الذي وجدت أثاره في النمسا وبلدان شمال أوروبا لكن نوعية نسيجه كانت رديئة.
- من بين المواد الأولية الخامة المستعملة خاصة في مصر نجد الكتان (Lin) وهو عنصر نباتي استعملت أليافه منذ أقدم العصور (حوالي 10000 سنة) حيث عثر علي بقايا في موقع أثري بسويسرا واستعمل من طرف المصرين للتحنيط من خلال بعض المشاهد التي تزين بعض القبور وكان ينتج بمصر وبلاد ما بين الرافدين منذ 5000 سنة بحيث توصل المصريون إلي درجة عظيمة في استنبات وغزل أجود أنواع الكتان (تحويل الألياف fibres) إلي خيوط معدة للنسيج (طبقا لرسوم علي جدران مقابر من الأسرة 11 و 13

-زيادة إلي الكتان هناك القطن، فأول بقايا أثرية للألياف وفاكهة شجيرة القطن le cotonnier عثر عليها في هضبة توهويكان (Tehuacan) بالمكسيك وأرخت بحوالي 7000 سنة . استعمل القطن أيضا في الصين ومصر ومناطق أمريكا الجنوبية والشمالية وشواهد أخري لمنسوجات قطنية وجدت في هضبة الهندوس Indus (الباكستان حاليا) وبسوريا في مملكة تودمر ما بين القرن 1 و 3 م وأوروبا عرفته من جراء غزوات الأسكندر المقدوني(Alexandre de Macédoine في القرن 4 ق- م) والتي مست بلاد الفرس والهند. ذكره المؤرخ اليوناني هيرودوت (Hérodote)في قوله:" في الهند تنبت شجيرات فواكهها صوف أجمل من صوف الخرفان " واسم منحدر من اللغة العربية وكان من بين أول الزراعات التي اهتم بها المعمرون الأوربيون الأوائل في أمريكا وأول مزرعة بمنطقة Jamestown بولاية فيرجينيا سنة 1607

- **الصوف** (la laine) وهي ألياف نعيمة تتحصل عليها من جزة (toison) بعض الحيوانات المجترة (Ruminant) كالمعز والجمل واللاما واستعمل تقريبا في كل الحضارات باستثناء حضارة مصر القديمة التي تعتبره نجسا لا يلق بصومعة الإلهة وفضلت

الكتان النباتي.للوصول إلي مرحلة النسيج ، يمر الصوف علي عدة مراحل تحضيرية نذكر منها الغسل والغزل بواسطة الندف (carde) ثم الفتل (filage) باستعمال المغزل الحديدي أو الخشبي (quenouille)

- الصبغة:استعملت عدة مواد أو خضب(pigments)غير قابلة للانحلال ويمكن ذكر نبات العصفور أو اللوتس (lotus) وورود الو زال(القندول باللغة العامية genêt épineux) للحصول علي اللون الأصفر ، وإفراز من الأرجوان (نوع من الصدف sécrétion du pourpre) استعمله الفينيقيون والأباطرة الرومانيين الأوائل وبعض أفراد العائلات الأرستقراطية للحصول اللون الأحمر وكانت هذه الصبغة ثمينة جدا وإلي غاية القرن 4 م ، كان ثمنها يعادل وزنها من الذهب(بلين القديم في كتابهH Histoires naturelle VI ,201يذكر أن الملك يوبآ 2 أنشأ مراكز لإنتاج الصبغة من هذا النوع في بعض الجزر بالمحيط الأطلسي التابعة لموريتانيا الطنجوية)، اللون الأزرق والأخضر كان يحصل عليها من أكسيد النحاس والبني من الطين أو المغرة (ocre) أو من جذور بعض النباتات ولتثبيت الألوان، تستعمل مادة االشب (alun) . لقد وجدت عدة أدلة أثرية علي فن الصبغة والصباغين في مصر القديمة، في بلاد الفرس، في الصين والهند تعود إلي الآلاف السنين ق- م خاصة مادة الفوة (la garance) وهي نبات شائكة حمراء ومنذ القرن 13 م ، يستعمل نبات الأشنة التي تعلو الصخور (orseille) ونبات كشة العجوز (la mousse) للحصول علي اللون الأحمر بايطاليا خاصة وماد أخري كالقرمزية (la cochenille)وهي حشرة صغيرة تعيش فوق النباتات والزعفران الخ...

**الثياب / الملابس : بما أن الهدف الأساسي لمختلف عمليات النسيج هو اللباس أو الأزياء ،نحاول إعطاء لمحة حول بعض الألبسة في بعض مناطق العالم القديم.

- في مصر:كما سبق ذكره، كان اللباس من الكتان بحيث يتناسب مع المناخ السائد ومتطلبات النظافة والأصولية الروحية (intégrité spirituelle) وكان يسمي الشانتي (Shenti)وهو مجرد قطعة مستطيلة من القماش يحزم ولباس أخر يسمي كلازاريس (Calasiris) حوالي 1500 ق- م وأخر السوش (souch) علي شكل مشلح(cape) يدور حول الجسم ويقفل علي الكتف ، وللنساء نوع من الغلاف المثبت علي الجسم والمزين باللؤلؤات خاصة خلال حكم العائلة 18 وكان طول اللباس مرتبط بالرتبة الاجتماعية للشخص.

- في بلاد ما بين الرافدين : اللباس المناسب والمكيف البارد هو نوع من السروال وجبة مفتوحة (tunique ouverte) محكومة بحزام ، ظهر هذا اللباس مع غزوات المدين (Mèdes) ابتدأ من 612 ق- م (شعب يقطن الشمال الغربي للغيران الحالية) وغزوات الفرس سنة 539 ق- م ثم ظهر لأول مرة في التاريخ لباس بنفسجي كحق ديني ونوع من الطاقية تسمي (bonnet phrygien) الفرجين شعب من الجانب الأسيوي لتركيا ، تبناه المعتوقين الرومان كرمز للحرية ثم أخيرا من طرف الثوار الفرنسيين خلال القرن 18 . تم التعرف علي أقدم الألبسة بسوريا وفينيقيا من خلال المنحوتات وكان جد متأثر باللباس المصري Shenti ونوع أخر يشبه calasiris مع زيادة الأكمام والمشلح فوقه ، مع الملاحظة أن ثياب الكهانة كان نوعا ما مختلفا بحيث كان علي شكل قطعة طويلة تلتف حول الجسم بطريقة تذكرنا بالزقورات اللولبية (ziggourat à spirale)

- في اليونان: كان اليونانيون الأوائل يلبسون نوع من الثياب بالأكمام يشبه اللباس الفارسي وهو علي شكل قطع مستطيلة من الصوف ، الكتان أو القطن بلون موحد ثم مع الاحتكاك والتأثر بحضارات أسيا ،أصبحت الأقمشة الغير المخيطة من عدة ألوان (الأزرق ، البنفسجي ، الأصفر ، الأرجواني والأخضر) ويسمي الخيتون(chiton) وهو لباس رجالي ونسائي ويعتبر الزى اليوناني الكلاسيكي مكون من قطعة مستطيلة محزم ومعقود علي أحد الأكتاف وفي الشتاء يغطي بمشلح (cape) أكبر منها أو بما يسمي الكلاميد (chlamyde) وهو مشلح قصير للرجال يعقد علي الكتف وهناك أيضا مشلح أخر أكبر من الأول يلبس في الشتاء يدعي الشملة (himation) بدلا من الكلاميد والنساء يرتدون ما يسمي الببيلوس (peplos) وهو نظير الخيتون الرجالي مطوق علي مستوي القامة ويصل إلي الكعوب (chevilles)

- في روما: يتكون اللباس الروماني من نوع من المئزرsubligaculum (pagne) يلبس فوق التوجه (toge)، خلال عصور الإمبراطورية لبسوا قمصين: - subucula و tunica extertior، والتوجه استمرت كلباس الحفلات والمناسبات إلي غاية انحطاط الإمبراطورية وهي في الحقيقة يشبه الكلاميد اليوناني لكنها أكبر بحيث تعادل عادة 3 أضعاف قامة لابسها. هناك أيضا ثياب أخر بدون أكمام يسمي (colobium)وأخر بأكمام عريضة (dalmatique) الذي أصبح مع الوقت لباس رجال الكنيسة أثناء الاحتفالات.النساء يرتدون فوق المئزر لباس يدعي (strophium) وهو ساف حمالة الصدر الحالية ثم لباس طويل: الستولا (stola)

**__ملاحظة هامة__ : التعامل بحذر مع اسماء المهنة الواردة في بعض النصوص كالنقشات اللاتينية، لان كلمة Vestiarius مثلا قد تعني الصانع، البائع أو حتى مراقب نوعية النسيج

Voir pour le monde romain :-Elisabeth Deniaux : l'artisanat du textile en Gaule, Cahiers du centre Gustave Glotz 1995 p : 195-206/ - Picard-Schmitter(M Th), Recherches sur les métiers à tisser antiques, à propos de la frise du forum de Nerva à Rome, Latomus T XXIV fasc 2 1965 p : 296-322
-J C Beal, la dignité des artisans : les images d'artisans sur les monuments funéraires de Gaule romaine, dialogue d'histoire ancienne vol2, 2000 p : 179-182
-pour le monde Sumero-Akkadien voir Speleers (L), le vêtement en Asie antérieure ancienne, Wetteren 1923 -Pfister(R), les tissus de Palmyre, Paris 1934 résumé in Revue SYRIA 3, 1935), Recherches sur le costume dans le monde romain, le pantalon, Africa 1968 p : 139-148